** مُقَدِّمَة **

يحصل السياسيون في كل دول العالم على نصيب الأسد من كل شيء؛ فأخبارهم تتصدر الصفحات الأولى في كل الصحف والمجلات، كما تأتي في مقدمة النشرات التليفزيونية والإذاعية والبرامج السياسية. فإذا قالوا استمع الناس، وإذا همسوا خرجت التقارير الإخبارية تحلل تلك الهمسات، وإذا ضحكوا فيجب أن نتفاءل ونرضى عن حياتنا، وإذا غضبوا وكشروا عن أنيابهم فأبواب الأزمات سوف تنفتح، والجحيم قادم لا محالة.

ولا عجب في ذلك؛ فهم يجلسون على قمة العالم، يحكمون حاضر ومستقبل الشعوب، ويملكون السلطة والنفوذ التي تجعل معظمهم يدمنونها، ويعتقدون أن الدنيا دانت لهم، وأن الزمن توقف عندهم، وأن البلاد لن تتنفس أو تحيا بدونهم، وأن الخالق – سبحانه – فضّلهم على العالمين، وأحنى لهيبتهم أعناق الرجال وأشعل لجاذبيتهم قلوب النساء.

ويؤكد لهم هذا الإحساس بالتفوق والذاتية المريضة حاشية فاسدة منافقة تعمل باستمرار على تغذية هذا المرض الذي لا علاج له؛ ليعموهم عما ينهبونه من ثروات البلاد وما يفعلونه في عباد الله المغلوبين على أمرهم.

عندما يصل الحاكم إلى هذه الدرجة من اللاوعي، يتيقن أن البلاد قد أصبحت ملكًا له وحده وحقًا لا ينازعه فيه أحد، فيفعل مثلما فعل الديكتاتور النيجيري السابق ساني أباشا الذي اختلس ٢٢٠٠ مليون دولار من حساب البنك المركزي النيجيري وحولها لحسابه الخاص في بنوك سويسرا!

وإذا كان هذا يحدث في دول العالم الثالث التي تغيب عنها الديمقراطية الحقيقية ولا تحدث فيها عمليات سلمية لتبادل السلطة، فكيف نبرر ما فعله رئيس وزراء إيطاليا في الثمانينيات بتينو كراكسي وعصابته التي تضم وزير الخارجية ونائب رئيس الحزب، في بلد ديمقراطي يتم فيه تبادل السلطة، وينتمي إلى دول العالم الأول، عندما اختلسوا ٢٠٠٠ مليون دولار من المنح والمساعدات التي تقدم لدول العالم الفقيرة وأودعوها في حساباتهم

السرية، وغطوا كل ذلك بمشروعات وهمية؛ كإنشاء جسور في دول ليست بها أنهار، أو تمويل مزارع سمكية في الصحراء!!

وتصل الخسّة بالرئيس الفيليبيني جوزف إسترادا لدرجة أن يستولى على ثمانية ملايين دولار من فدية قيمتها ٢٠ مليون دولار دفعت لإطلاق سراح رهائن أوروبيين احتجزتهم مجموعة أبو سياف في الفيليبين!

كذلك وجهت الاتهامات إلى الرئيس الكولومبي أرنستو سامبير لحصوله على خمسة ملايين دولار من تجار المخدرات خلال حملته الانتخابية عام ١٩٩٤م!

بل ويصل الفساد بنائب وزير الدفاع في طاجيكستان لأن يهرّب المخدرات في مروحية عسكرية ليبيعها لتجار من روسيا وأوزبكستان!

ورغم الشعارات التي تحض على الشفافية والنزاهة والعفة التي يطلقها البعض لتخدير الجماهير والحصول على أصواتهم، فقد أدانت المحكمة رئيس الوزراء التركي السابق نجم الدين أربكان وسجنته لمدة سنتين وأربعة أشهر لدوره في قضية احتيال مرتبطة بأموال حزبه المحظور!

وتصل الوضاعة ببعض السياسيين الذين يمثلون دولهم إلى الانحطاط، رغم رواتبهم الضخمة، لدرجة أن يحاول دبلوماسي أفريقي تهريب ثياب باريسية إلى مصر، وأن تحاول دبلوماسية أخرى تهريب أقراص فياجرا إلى مصر أيضًا، وأن يتم القبض على سفير سويسري بتهمة تبييض أموال مخدرات!

ولأن السلطة والنفوذ والمال الحرام يفتحان النافذة لدخول المتعة الحرام أيضًا حتى يكتمل مثلث الفساد، فقد انكشف المستور عن العلاقات الغرامية لجون ميجور رئيس الوزراء البريطاني السابق الذي ارتدى ثوب الواعظ الورع وهو يطرد بعض وزراء حكومته بسبب فضائحهم الغرامية، وبصفة خاصة علاقته مع أدوينا كوري الوزيرة السابقة في حكومة مارجريت تاتشر، التي فضحته وفضحت نفسها في مذكراتها التي نشرتها صحيفة "تايمز" في سبتمبر ٢٠٠٢م، ونقلت عنها وكالات الأنباء لتنتشر الفضيحة في كل صحف العالم!

ولكن فضائح ميجور وأعضاء حكومته تهون إزاء ما فعله رجل الدين والأستاذ الجامعي، رئيس زيمبابوي السابق كانان بانانا الذي اعتدى جنسيًّا على مرافقه الشخصي مرات عدة جعلت الأخير يغرق في أزمة نفسية ويدمن الكحول، إلى درجة جعلته يقتل زميله عندما وصفه بأنه "زوجة بانانا"!

ولم يضارع باناما في ذلك الشذوذ وتلك الحقارة سوى رئيس نيكاراجوا الأسبق دانيال أورتيجا الذي تجرد من أبسط قواعد الأخلاق والشرف واغتصب ابنته بالتبني بشكل متكرر وعلى مدى سنوات، كما أكدت الابنة ذلك في رسالة نشرتها الصحف في مارس ١٩٩٨م!

ولأن الشرف قوة والفساد ضعف، فالفاسد يكون ضعيفًا لدرجة أنه يعطي الفرصة لخصومه كي يطعنوه في أي وقت وأي مكان، مثلما حدث عندما رفض مجلس الشيوخ الروسي الموافقة على استقالة النائب العام الروسي يوري سكوراتوف بناء على رغبة الرئيس الروسي بوريس يلتسين، حيث عرضت شبكة تليفزيون خاصة في جورجيا – بعد ساعات فقط من رفض الاستقالة – شريط فيديو للنائب العام الروسي وهو يمارس الجنس مع شابتين شقراوين ثم يرتدي ثيابه قبل أن يُقبّل إحداهن مودعًا، فاضطر بعد ذلك لتقديم استقالته "لأسباب صحية"!!

مثل هذه المؤامرة تعرّض لها نائب رئيس الوزراء الماليزي أنور إبراهيم عندما اتهموه بممارسة اللواط عام ١٩٩٨م وطردوه من الحكم وسجنوه أيضًا، وبعد ذلك بسنوات أسقطت عنه المحكمة تهمة اللواط!

ويبدو أن إدمان السلطة أشد وطأة من إدمان المخدرات، لذلك أصبح الوصول إليها بتزوير إرادة الشعوب أمر عادي ووسيلة قديمة ومعروفة في كل بلاد الدنيا. لكن الجديد والمدهش هو ما فعلته سوزي دياز فتاة الاستعراض الجميلة في بيرو عندما كشفت للناخبين مؤخرتها التي كتبت عليها باللون الأحمر رقم ١٣ أثناء حملتها الانتخابية، وهو رقمها على قائمة المرشحين للبرلمان!

أكثر من ٢٠٠ قصة فساد ضمها هذا الكتاب الذي يلقي الضوء على بعض فضائح الطبقات الحاكمة التي انكشف عنها المستور، وما خفي كان أعظم!

لقد انشغل الفلاسفة بالنظريات، وانشغل الشعراء بالجمال، وتركوا العالم لهؤلاء الفاسدين يمتصون ثرواته، ويشعلون الحروب والحقد والكراهية بين شعوب الأرض، ويزجون في معتقلاتهم بالحالمين بعالم أفضل!

عطية حسن